



قررت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فى صيف 1936 تمديد نشاطها الإصلاحى إلى فرنسا التى يعيش فيها آلاف المهاجرين الجزائريين. وانتدبت لهذه المهمة المسؤول الأول والشيخ سعيد صالحى نائبا له. وسأقتصر فى هذا المقال على دراسة الشيخ صالحى لأننى خصصت بحثا كاملا للشيخ الورتلانى فى مكان آخر

#### نضال فى باريس

وفى الرجلان فى العمل الدعوى ونجحا فى تأسيس نواد إصلاحية لتعليم الدين والمحت على إقامة شعائره وتدريس اللغة العربية. وانتشرت الحركة فى باريس وضواحيها، وكذلك فى عدة مدن داخلية كمرسيليا فى الجنوب، وليون فى الشرق، وسان إتيان فى الوسط الغربى.

لم تقتصر مهمة الشيخ الصالحى على الوعظ والإرشاد والإفتاء وفتح النوادى التهذيبية، وإنما كان يحث باستمرار المهاجرين على دعم جمعية العلماء فى الجزائر حتى تحقق مشاريعها التعليمية الطموحة فتح المدارس وتطعيم صندوق الطلبة ودفع أجرة المعلمين

وحسب التقرير المالى لعام 1937 المقدم فى المؤتمر السابع لهذه الجمعية والمنعقد فى نادي الترقي يوم 24 سبتمبر 1938، فإن الشيخ سعيد صالحى أرسل مبلغا قدره 6262,704 فرنكا. وهو مبلغ تجاوز كثيرا ما قدمته فى تلك السنة الشعب الوطنية الكبرى كقسنطينة أو تلمسان أو الجزائر

وتعاون العديد من الطلبة العرب والمسلمين الذين كانوا يزاولون دراساتهم العليا فى الجامعات الفرنسية المرموقة مع المشرفين على النوادى التهذيبية، وأذكر منهم: محمد عبد الله دراز، عبد الرحمان تاج من مصر، محمد المبارك وعمر بهاء الدين الأميرى من سوريا... الخ.

وربط الشيخ صالحى علاقات متينة مع هؤلاء الطلبة الذين أصبحوا بعد سنوات من أقطاب الفكر الإسلامى المعاصر، وبقي على صلة بهم، وقد زارهم خلال رحلته إلى مصر وسوريا فى عام 1952، كما استقبل بعضهم فى السبعينيات فى الجزائر عندما كان نائباً لرئيس المجلس الإسلامى الأعلى

مع مالك بن نبي فى مرسيليا

توقف الشيخ سعيد صالحى فى مرسيليا فى بداية شهر جويلية 1938 وهو فى طريقه إلى باريس. مكث فيها أياماً قليلة واحتك خلالها بالمهاجرين الجزائريين المقيمين فى هذه المدينة الكبرى، واتصل بالمتقن مالك بن نبي الذى كان حينئذ مسؤولاً على نادى المؤتمر الجزائرى الإسلامى للثقافة حيث ألقى الشيخ صالحى محاضرة أكد فيها أن "المقضية الشعبية الجزائرية لا يمكن حلها إلا بفضل الدين اعتماداً على ما يمهده الإسلام من سبل المنجدة للفرد والمجتمع"

واغتنم الشيخ صالحى فرصة إقبال العمال لجمع التبرعات لصالح النادى بينهما هي - فى حقيقة الأمر - موجهة لدعم المقضية الفلسطينية التى ظهرت فى الأفق، وبدأت تشغل بال زعماء الإصلاح والسياسة فى العالم العربى والإسلامى، وهي ما تزال تشغلهم إلى يومنا الحاضر بدرجات مختلفة.

وألقى بعده الشاب الناشط مالك بن نبي - الذى لم يلمع بعد نجمه فى سماء العلم والفكر - محاضرة حلل خلالها الأزمة الحضارية التى أصابت الإنسان المسلم نتيجة عوامل داخلية لخصها فى "فشل القوى الروحية التى كانت الدواب المحرك للعالم الإسلامى وذلك بتفريط المسلمين الذين ألهاهم التكاثر والتنعم فانقلبت سيادتهم عبودية".  
وهي الأفكار نفسها التى سيطورها بن نبي باستمرار، ثم يكشف عن نتائج تأملاته وخلصه بحوثه بعد عشر سنوات فى كتابه النفيس:

شروط النهضة

”.

وبعد هذا النشاط الفكرى، غادر الشيخ صالحى مرسيليا متجهاً إلى باريس، فاستقبله أنصاره بحفاوة كبيرة فى محطة القطار. وشارك بعد ذلك فى أشغال الجمعية العامة للنوادي التهديبية المنعقدة يوم 15 جويلية 1938 برئاسة الورتلانى ومساعدة رؤساء النوادي القادمين من مناطق مختلفة، وأذكر منهم: الربيع بوشامة، سعيد البيباني، البشير العياضى، محمد وعلي بن الهاشمى

لقد ألقى الشيخ سعيد صالحى خطاباً طويلاً ذكّر بمسيرة الإصلاح فى فرنسا، وعدد إنجازاتها مستلهاً دائماً القدوة من الشيخ عبد الحميد بن باديس؛ ذلك الرجل العبقرى لو خلق بسوريا أو مصر لكان من أمثال فيصل وزخلول ولكنه - ويا للأسف - خلق بالجزائر التى تكاد لا تعرف قيمة الرجال والعظماء  
”! وما تزال هذه المشكلة مطروحة يشترك فى صنعها أهل الفكر وأهل القرار معا

## احتفال باريس بختم ابن باديس للقرآن

احتفلت الجزائر المسلمة في عام 1938 بختم الشيخ عبد الحميد بن باديس لتفسير القرآن الكريم بعد خمسة وعشرين سنة، وأقيم بهذه المناسبة حفل كبير في قسنطينة، وقد حضره أقطاب الحركة الإصلاحية في الجزائر وجمهور غفير قدم من كل جهات الوطن. وقد أصدرت مجلة الشهاب عددا خاصا تضمن المداخلات والمقائد الشعرية التي أقيمت بهذه المناسبة العلمية

وأبى الشيخ صالحى أن يمر هذا الحدث العظيم دون الاحتفال به في المهجر. وهكذا نظم الإصلاحيون مهرجانا كبيرا يوم 23 جويلية 1938

ث خلاله الفضيل المورتلاني عن فائدة إحياء ذكريات العلماء والعظماء لتبقى نبراسا تهتدي به الأجيال، كما أثنى على شيخه عبد الحميد بن باديس الذي دأب لمدة ربع قرن على تفسير القرآن الكريم في جامع الأخضر، ومسجد سيدي قموش... الخ

وصور الشيخ صالحى مشاهد هذا الحفل الذي حضره في قسنطينة فأحسن تصويره، كما عبّر عن انبهاره بتنظيمه المحكم، وكشف إعجابيه بتنافس أهل الخير على إكرام الضيوف القادمين من كل أنحاء القطر الجزائري.

تقدير، اعتراف وتكريم

عاد الشيخ صالحى إلى الجزائر في 1 أبريل 1937 بعد أن أقام في فرنسا سبعة أشهر، وحيث ما نزل في وطنه أستقبل استقبال الأبطال من طرف أنصار الحركة الإصلاحية الذين كانوا يتابعون نشاطه في المهجر من خلال جريدة البصائر، ومن خلال ما تتداوله السنة المهاجرين الجزائريين أثناء زيارتهم للوطن

قدمت له المشعب دعوات ليشرفها بزيارته ويُسَمِّعها أخبار انتصارات الحركة الإصلاحية فيما وراء البحر في عقر دار المستعمر. فألقى محاضرة في نادي الترقى بالجزائر العاصمة، بدعوة من الشيخ الطيب العقبي الذي أثنى عليه كثيرا. كما أقامت له جمعية التربية والتعليم بكلية الشعب بقسنطينة حفلة تكريم شارك فيها أقطاب الحركة الإصلاحية كابن باديس، ومبارك الميلي، والعربي المتبسي.

وصف سعيد صالحى الحياة الاجتماعية والدينية قبل شروعه مع الشيخ المورتلاني في الدعوة بين صفوف المهاجرين، فقد كانت حالة الجالية الجزائرية آنذاك "ميتة لا إحساس لها ولما شعور، ولما تعرف للدين حقيقة"؛ ثم دبت فيها الحياة من جديد، فهذب الأخلاق وتأسست الجمعيات والنوادي، وأقبل الناس على التعلم وأداء الشعائر. وكان خطابه الذي دام ساعتين ونصف -حسب مراسل جريدة البصائر- في غاية التفاؤل بمستقبل الإسلام والعربية والوطنية في صفوف الجالية الجزائرية في المهجر

وهذا ما أكدته الأيام وصدقته الأعوام بإقبال الناس على دينهم وانتشار المساجد والمكتبات الإسلامية واعتناق الأوروبين للإسلام، وكذلك باحتضان المهاجرين للثورة التحريرية فأمدوها بالرجال المخلصين والمال الوفير.

ولما شك أن الشيخ سعيد صالحى كان محل إعجاب وتقدير رفاقه فى النضال. ولما بأس أن أقتبس هنا مقتطفات من الشهادات التى تبرز قيمة هذا الرجل ومكانته العالمية، وتكشف عن مساهماته فى الساحة الإصلاحية فى فرنسا.

فنبداً بأستاذه ومسؤوله الأول: الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذى قال فيه: "هو المدرس والإمام بمسجد قنزات وقريين الشيخ المفضل الورتلاني فى تأسيس الحركة التهذيبية الإصلاحية فى باريس وبعض مدن فرنسا، وأحد أركان الإصلاح والتعليم فى قبيلة بني يعلى المعروفة قديماً وقريباً بانتشار معرفة الفروع الفقهية بين عامتها، وأحد أبناء المرابطين فى تلك الجبال الذين أرادوا أن يربطوا فيها رباطاً شرعياً بحبس أنفسهم على نشر الهداية والتعليم الإسلام والعربية وخدمة عباد الله لوجه الله الكريم".

كما وصفه الشيخ الورتلاني بـ "محارب الجهل". وقال فى شأنه الشيخ فرحات الدرارجي مندوب الجمعية فى مرسيليا أنه "لا يقل عن زميله الشيخ المفضل الورتلاني تدبناً وإخلاصاً ووطنية، فالتحق الشيخ سعيد بزميله وتعاونوا على تغذية الحركة وواصلوا العمل، وكان من نتيجة تلك الجهود التى بذلها أن كثرت عدد النوادي الجزائرية بباريس، واشتدت الرغبة بتعلم اللغة العربية".

كذلك وصفه الشاعر الربيع بوشامة بـ "المجاهد الأعظم والمضحى بنفسه فى سبيل إعلاء كلمة الله ورفع شأن الوطن". أما الشيخ محمد وعلي مندوب جمعية العلماء فى مدينة سان اتيان، فإنه قال: "الشيخ سعيد صالحى معروف بأثاره ومكارمه، ويجب الاعتراف من بحر علمه الزاخر، والاستنارة بضوء نوائحه الغالية المصادرة عن قلب خالص مملوء بالمحبة والعطف على المسلمين خصوصاً وبني الإنسان عموماً".

وتقديراً لجهود الشيخ صالحى الإصلاحية فى فرنسا انتخبه المؤتمر السادس (1937) للجمعية عضواً فى مكتبها الإداري، ثم نائباً لأمين المالية الشيخ مبارك الميلي فى المؤتمر الثامن (1938).

فى مهمة جديدة إلى فرنسا

فى صيف 1947، كلفته جمعية العلماء بوصفه مراقباً عاماً و "متخصصاً فى سياسة الوعظ والإرشاد" بإحياء نوادي التهذيب وتنفيذ

نشاطها، فسافر إلى فرنسا، وأقام فيها عدة أشهر. عمل خلال هذه الفترة على جمع المصنفات التي تفرقت، وقدم محاضرات في عدة مدن " فأسمع الناس فيها كلمة الدين وصوت العربية"، واجتهد لفتح المصليات والمدارس الحرة القديمة التي لم يمسه الدمار خلال الحرب العالمية الثانية، أو تأسيس مدارس أخرى جديدة.

وصادف وجوده في فرنسا حلول شهر رمضان، فضاعف جهوده في الوعظ والإرشاد. كما صلى بالناس يوم العيد حضر الصلاة وفد من الكشافة الإسلامية الذي جاء إلى باريس ليشارك في مؤتمر الكشافة العام. وقد ساعد الشيخ صالحى في مهمته الصعبة الأستاذ عبد المقادر محداد العضو الإداري لجمعية العلماء الذي زار حينئذ باريس.

غير أن زيارته لم تدم طويلا فعاد إلى الجزائر ليكمل المهمة بعده الأستاذ عبد الرحمان اليعلاوي، الذي قدم من تونس التي عاش فيها طويلا مناضلا في صفوف الحزب الدستوري التونسي. وأسفرت كل تلك الجهود بتأسيس شعبة رسمية لجمعية العلماء في باريس في سبتمبر 1948. وستعرف الجمعية ذروة نشاطها في الخمسينيات عندما تسند قيادة أعمالها إلى المشاعر الربيع بوشامة، تلميذ الشيخ سعيد صالحى المخلص.